إعادة بناء القوات المسلحة

كلف الرئيس جمال عبد الناصر الفريق أول محمد فوزى والذى كان يشغل منصب رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة بإعادة بناء الجيش. وتعيينه قائدًا عامًا للقوات المسلحة على أن يبدأ فورًا فى تسليح الجيش بكافة أنواع الأسلحة والمعدات. والعمل على إزالة آثار العدوان. كذا تدريب الأفراد والقوات لاستعادة الأرض المسلوبة. واسترداد الكرامة لجيش مصر وشعبها.

وكان معروفًا عن الفريق أول محمد فوزى الصرامة الشديدة والانضباط العالى. وسمات العسكرية بكل مقوماتها مما ساعده ذلك على سرعة تنظيم الجيش. وإعادة تمركزه، مع سرعة إمداد القوات المسلحة بالأسلحة والمعدات والمركبات ووسائل الدفاع الجوى والقوات الجوية والطائرات بجميع أنواعها بواسطة الاتحاد السوفييتى. وبمشاركة بالتمويل والمساعدة من بعض البلاد العربية كالمملكة العربية السعودية، وبعض الدول الخليجية، وليبيا والجزائر. مع تنوع مصادر الأسلحة التكميلية وملحقاتها وقطع الغيار اللازمة لها من بعض الدول الآسيوية وبعض الدول الغربية والشرقية الأخرى.

وأوقفت الإجازات الميدانية، وتحدد للضباط وضباط الصف راحة لساعات محدودة كل ثلاثين يوما لرؤية الأهل والأولاد. وتحدد للمجندين راحة لساعات محدودة كل اربعين يوما، وأوقف تماما خروج دفعات الرديف للمجندين.

إزالة آثار العدوان وحرب الاستنزاف

قامت القيادة العامة للقوات المسلحة بإعادة توزيع القوات واتخاذها مواقع دفاعية جديدة، وسرعة استكمال هذه الوحدات من المعدات والأسلحة والذخائر التى تم إمدادها بها، وإعادة الانضباط إليها وتدريبها تدريبًا شاقا مع استمرار هذه الوحدات فى اتخاذ المواقع الدفاعية وتجهيزها والتدريب على الأعمال القتالية والدفاعية طبق لمهام العمليات الموضوعة لمنع العدو الإسرائيلى من القيام بأى عمليات تعرضية غرب القناة، وحيث كان العدو الإسرائيلى يقوم بقصف مدن القناة الرئيسية من بورسعيد شمالا إلى الإسماعيلية وحتى السويس جنوبًا بمدفعياته التى كانت تطول مداها هذه المدن أو بطائراته القاذفة والمقاتلة كذا مناطق رمانة وبالوظة والقنطرة والكاب ومنطقة التينة ورأس العش.

الأمر الذى أدى إلى تهجير كل سكان مدن القناة وقراها، وقد عانى هؤلاء أشد المعاناة تاركين أعمالهم وأراضيهم ومساكنهم ومدارسهم إلى مدن أخرى، وقد تحملوا الكثير وتحملت الدولة مسئوليتهم مسئولية كاملة وبرغم ذلك استمر العدو الإسرائيلى فى قصف هذه المدن وتدمير كثير من المنشآت والمبانى والعقارات، ولم تسلم حتى المستشفيات والمدارس جراء هذا القصف. وسقط المئات من الشهداء المدنيين وآلاف الجرحى إزاء هذا القصف، وتحولت مدن القناة إلى مدن أشباح لدرجة أننى حينما كنت أسير

بمفردى فى أحد شـوارع الإسماعيلية الرئيسـية وحيدًا ولا أسمع سوى صوت أقدامى. كانت دموعى لا تفارقنى وهى تسيل على خدى.

فـى هذه الأثناء كانت القيادة العسـكرية تعمـل على رفع معنويات الأفـراد جميعـا من الضبـاط والجنود، وبـدأت القيادة العسـكرية فى التخطيط لحرب الاسـتنزاف بالدفاع النشـط، وبدأت حرب الاستنزاف التى قسمت إلى مراحل.

حـرب الاستنـزاف

وقد قسمت إلى ثلاث مراحل رئيسية:

المرحلة الأولى: مرحلة الصمود:

وهـى المرحلة التى بدأت من تاريخ النكسـة وحتى شـهر سـبتمبر ١٩٦٨م. وكان أهـم مـا فى أحداثها هى الهجمـة الجوية المصرية يوم ١٤ يوليو ١٩٦٧م والتى فوجئ العدو الإسـرائيلى بها، ولسـرعة إعداد القوات الجوية المصرية ورفع كفاءة طائراتها ومطاراتها وطياريها وقيامهم بهذه الهجمة الجوية على مواقعهم.

ثـم أعقب ذلك إغراق المدمرة الإسـرائيلية إيلات فى أكتوبر ١٩٦٧م والذى تلاه بالهلع والصدمة لدى الجانب الإسرائيلى، مما أدى إلى قيام الجانب الإسـرائيلى بالانتقام بقصف معامـل تكرير البترول فى الزيتية بالسويس انتقامًا من تدمير أكبر مدمرة فى السلاح البحرى الإسرائيلى.

المرحلة الثانية: مرحلة الردع:

وهذه المرحلة بدأت فى شهر سبتمبر ١٩٦٨م وذلك بغرض إجهاض العدو واستنزاف موارده وردعه بالقصف المركز بالمدفعية على دفاعاته واحتياطياته القريبة وتدمير دشمه ومراكز قيادة العدو المتقدمة وأسلحته ومعداته.

المرحلة الثالثة: مرحلة الاستنزاف:

وقد بدأت هذه المرحلة فى شهر سبتمبر ١٩٦٩م والتى استمرت حتى يوم ١٩٧٠/٩/٧م حيث تم الاتفاق على وقف إطلاق النار بناء على مبادرة

وليـم روجرز وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية فى ذلك الوقت. وكان من أبرز أحداث هذه المرحلة عمليات عبور قناة السويس بوحدات خاصـة. والإغارة على نقط العدو القويـة وتنظيم الكمائن. ووصلت هذه الأعمال وتطورت حتى وصل حجم العناصر المشـاركة فى هذه العمليات من قوة جماعة حتى وصلت إلى كتيبة مشـاة مدعمة. ومن أبرز الأعمال فـى هذه المرحلة عمليات الإغارة المصرية على ميناء إيلات الإسـرائيلى وإغراق السفن الحربية فيه.

بعض الأعمال القتالية خلال حرب الاستنزاف

وكما جاء فى سير العمليات القتالية والمسجلة فى هيئة عمليات القوات المسلحة وفى التقريرين اللذين تم تجميعهما بواسطة الكاتب محمد البهنساوى، والكاتب عمرو جلال الصحفيين بجريدة الأخبار عن حرب الاستنزاف، حيث أطلق عليها حرب الألف يوم.

هكذا سميت حرب الاستنزاف، تلك الحرب التى أعادت الثقة للجانب المصرى، وكانت أفضل إعداد وتجهيز لنصر أكتوبر العظيم. والاستنزاف هو المصطلح الذى أطلقه الرئيس جمال عبدالناصر على المعارك التى اندلعت بين مصر وإسرائيل على ضفتى قناة السويس، فقد شهدت معارك جوية وبرية وبحرية، وأثبتت للعالم أن نكسة ١٩٦٧م حدث عارض وأن الجيش المصرى قادر على الانتفاض والثأر.

بدأت شرارة الاستنزاف يوم ١ يوليو ١٩٦٧م أى بعد أقل من شهر على النكسة، عندما تقدمت المدرعات الإسرائيلية صوب مدينة بور فؤاد لاحتلالها يوم ١ يوليو ١٩٦٧م فتصدت لها قوة من الصاعقة المصرية بنجاح فيما عرف بمعركة رأس العش، بعد ذلك وعلى مدار ثلاث سنوات، تواصلت المعارك، وحاولت إسرائيل خلالها، ومن خلال الضربات الجوية استهداف المدنيين المصريين لإخضاع القيادة السياسية المصرية، مستخدمين فى ذلك مقاتلات الفانتوم الأمريكية الحديثة، وفى ٧ أغسطس ١٩٧٠م انتهت المواجهات بقرار الرئيس عبدالناصر

قبول مبادرة روجرز لوقف إطلاق النار. ومع استمرار أوضاع القوات من الجانبين على ضفتى القناة بدأت مرحلة اللاسلم واللاحرب.

العمليات القتالية أثناء الردع والاستنزاف:

وكان شهر مارس ١٩٦٩م أهم مراحل التصعيد العسكرى والسياسى فى الصراع العربى الإسرائيلى. بدأت صباح ٨ مارس ١٩٦٩م وامتدت إلى ١٩ يوليو من العام نفسه، وتميزت بسيطرة مطلقة للقوات المصرية على خط الجبهة. وعلا فيها دور المدفعية التى صبت نيرانها على حصون خط بارليف والأهداف الأخرى من خلال ٤٠ ألف قذيفة. وبدأت يوم ٨ مارس بأكبر حشد نيرانى مؤثر منذ توقفت نيران حرب يونيو. واستمر هذا القذف ساعات متواصلة، اشتركت فيه ٣٤ كتيبة مدفعية، يعاونها حشد من أسلحة الضرب المباشر كالمدافع المضادة للدبابات، والدبابات الثقيلة عيار ١٢٢مم. لتدمير مزاغل نيران دشم خط بارليف، وإسكات ٢٠ بطارية مدفعية، وحرائق شديدة فى ست مناطق إدارية. وغير ذلك من الخسائر.

وظهر يوم ٩ مارس ١٩٦٩م امتدت يد العدو الغادرة من خلال هجوم مباغت استشهد خلاله الفريق عبد المنعم رياض رئيس أركان حرب قواتنا المسلحة خلال تواجده بخط المواجهة فى قطاع الجيش الثانى الميدانى، فى منطقة النقطة الرقم (٦) بالإسماعيلية.

وفى ١٣ مارس ١٩٦٩م بدأت إغارات قواتنا لتدمير موقع للجيش الإسرائيلى جنوب البحيرات برجال الكتيبة (٣٣) صاعقة. ونجحت فى مهمتها فى نفس الوقت الذى كانت تحاول فيه القوات الإسرائيلية

إنزال قوارب، والإغـارة على منطقة قريبة فى منطقة جنوب البحيرات أيضا. وفشلت محاولاتها فقامت بقصف قطار السكة الحديد الإسماعيلية والسويس.

وفـى يـوم ١٧ إبريل ١٩٦٩م نفـذت قوات الجيـش الثانى الخطة هديـر. بتوجيه مدافـع الدبابات الثقيلة إلى فتحات المراقبة والتسـديد لدشـم خط بارليف لتخترقها، وتفجرت الدشم من الداخل وقتل الأفراد المتحصنـين بها. وتوعد وزير الدفاع الإسـرائيلى الجنرال موشـى ديان القـوات المصرية، وكان الرد الإسـرائيلى متوقعًا، حيـث أغار يوم ٢٩ إبريل ١٩٦٩م على محطة محولات نجع حمادى للمرة الثانية، وأسـقط عبوات ناسـفة زمنية قرب أدفو أصابت بعـض المدنيين الأبرياء، وكان الرد المصرى مباشـرًا وسـريعًا وفى الليلة التالية مباشرة، بالإغارة على نقطة جنوب البلاح للمرة الثانية ونسفها بالكامل.

وتم تبادل الغارات بين الجانبين، وجاءت الإغارة على نقطة لسـان التمساح شرق مدينة الإسماعيلية، وهى النقطة التى استشهد فيها الفريق عبـد المنعم رياض، وفـى محاولة للثأر قامت القـوات الخاصة المصرية بقيادة الشـهيد المقدم إبراهيم الرفاعى بقتل حوالى ٣٠ جنديًا إسرائيليًا، ودمرت دبابتين، ونسفت ٤ دشم، وخسرت هذه القوات ٩ شهداء، أما الإغارة الأخرى التى أصابت القيادة الإسـرائيلية فى مقتل، فكانت هى الإغارة على نقطة لسان بور توفيق ليلة ١١ يوليو وقتل وجرح ٤٠ فردًا، وتدمير خمس دبابات وأربع دشم، وأسير واحد، دون أن تتكبد القوات المصرية أى خسائر.

وأمام بسالة قواتنا وضرباتهم الموجعة. يقول زئيف شيف المحلل الإسرائيلى فى كتابه عن حرب الاستنزاف. أن عملية لسان بور توفيق هى التى أنهت الجدل داخل أروقة القيادة الإسرائيلية حول حتمية تدخل الطيران فى المعركة. ويستطرد: لقد كان هذا النجاح هو أبرز ما حققه المصريون، ومن الواضح أنه كان سيحفزهم إلى نشاط أكبر. لا مناص عن إيقافهم عنه بسرعة.

وأمام الضغط المصرى أقدمت القيادة الإسرائيلية على استخدام سلاح الطيران، الذى كانت كل الآراء تصر على الاحتفاظ به للمستقبل. وقد مهدت القوات الإسرائيلية لدفع الطيران بمحاولة التخلص من بعض الرادارات المصرية ونقط المراقبة الجوية، لذلك كان القصف الجوى ضد وحدة الرادار المصرية فى الأردن يوم ٢٢ إبريل ١٩٦٩م وكذلك إغارة الجزيرة الخضراء، وإغارة الأدبية. ضد نقطة مراقبة جوية منعزلة.

واعتبارًا من ٢٠ يوليو ١٩٦٩م بدأت المرحلة الثانية من حرب الاستنزاف بإدخال إسرائيل لعامل رئيسى جديد فى هذه الحرب. اتسعت من خلاله مجالات المواجهة ليشمل مسارح العمليات بالكامل. بعد أن كانت مقتصرة على المسرح البرى خلال الفترة السابقة. وقد افتتحت إسرائيل هذه المرحلة بتنفيذ العملية بوكسر. والتى تتلخص فى تنفيذ (٥٠٠) طلعة طائرة تقصف (٢٥٠٠) قنبلة بإجمالى (٥٠٠) طن على أهداف مختلفة خلال ١٠ أيام. وهى مواقع الدفاع الجوى والرادارات. ومواقع المدفعيات. والقوات فى الجبهة. ويفخر رئيس الأركان الإسرائيلى الجنرال حاييم بارليف. بأنه خلال الفترة

مـن٢٠ يوليو وحتـى ٧ سـبتمبر ١٩٦٩م نفذت الطائرات الإسـرائيلية (١٠٠٠) غارة لإجبار مصر على نشر قواتها وتخفيف الحشد فى جبهة القناة. وفى يوم ٩ سبتمبر ١٩٦٩م قامت إسرائيل بإنزال سرية دبابات (ت ٥٥) مـن مخلفـات حرب يونيـو فى منطقة أبـو الدرج على سـاحل البحر الأحمـر، اتجهت جنوبًا إلى الزعفرانة مدمرة كل الأهداف والسـيارات المدنية، وكان رد فعل الإغارة عميقا فى القيادة العامة؛ لتحديد مسئولية عدم اكتشاف قوة الإغارة أثناء وجودها على الشاطئ الشرقى للخليج قبل تنفيذ العملية، وقد استغلت إسرائيل هذه الإغارة إعلاميًا بطريقة مثيرة، بعد أن سـجلت لها فيلمًا عرضته على الشـعب الإسرائيلى، واستمرت العمليات المتبادلة بين الجانبين، واستمرت ضربات قواتنا الموجعة برغم الفارق فى الإمكانيات.

انتهى عام ١٩٦٩م والقوات المسـلحة المصرية متماسـكة تمامًا، وقد تجاوزت الحاجز النفسـى الذى سـببته نتائج حـرب يونيو، وتخطت حاجـز الخوف، وقد نجحت مراحل الاسـتنزاف فى تحقيق أهدافها، أما ذراع إسرائيل الطويلة فلم تتمكن من تحقيق أهداف القيادة السياسية الإسـرائيلية، وعلى الرغم من أنها شنت فى الفترة من ٢٠ يوليو وحتى نهاية عام ١٩٦٩م حوالى (٣٥٠٠) طلعة جوية، فى مقابل (٢٩٠٠) طلعة جوية مصريـة معظمها للحماية والتأمـين، ودارت بين القوات الجوية المصرية والإسـرائيلية (٢٢) معركة جوية اشـتركت فيها (١٣٠) مقاتلة إسـرائيلية فى مقابل (١١٠) مقاتلة مصرية،فقد كانت خسائر المصريين (٢٦) طائرة، وخسائر العدو (١٤) طائرة؛ نظرًا للفارق بين نوع الطائرات ومستوى تدريب الطيارين.

أمـا العمليات البرية الإيجابيـة الناجحة خلال عام ١٩٦٩م فكانت (٤٤) عملية ما بين إغارة وكمين، نفذ منها (٥) أعمال فى عمق إسرائيل، وبينما نفذت إسـرائيل (٢٨) عملاً إيجابيًا، منها (١٦) عملا فى العمق المصرى. وكانت خسائر القوات المصرية استشهاد (١٦) ضابطا، و(١٥٠) رتبـا أخرى. أما الجرحى فكانـوا (١٩) ضابطا، و(٢٩٩) رتبا أخرى. فى مقابل (١٣٣) قتيلا، و(٣٢٠) جريحا فى صفوف القوات الإسرائيلية طبقا لما صرح به موشى ديان.

تصعيد كبير:

كان واضحا أمام القيادة الإسـرائيلية أن مراحل الاسـتنزاف المضاد لم تتمكن من تحقيق أهدافها، فالقوات المصرية لم تتشـتت فى الجبهة لمواجهة أعمال الاستنزاف الإسرائيلية فى عمق الصعيد والبحر الأحمر؛ لذلك كان لا بد من التفكير فى دخول مرحلة جديدة للاستنزاف، يكون الهدف منها اسـتخدام سـلاح الجو الإسـرائيلى لقصف العمق المصرى بكثافة أكبر؛ لزيادة الضغط على الشـعب المصرى ودفعه إلى الثورة على قيادته لإيقافه حرب الاسـتنزاف، وإضعاف نظام الرئيس عبدالناصر أو الإطاحـة به. وقد كان مهندس هذه العملية هـو الجنرال عزرا وايزمان مديـر العمليات برئاسـة الأركان وقتها. ووضعت الخطـة «بريها» فى رئاسـة الأركان الإسـرائيلية وعرضت على رئاسـة الوزراء وتم التصديق عليها.

وقد بدأ تنفيذ الخطة «بريها» اعتبارًا من فجر ٧ يناير ١٩٧٠م بطلعة جوية فوق سماء القاهرة، تخترق حاجز الصوت وتحدث فرقعة شـديدة

لتعلن عن بدء مرحلة جديدة من تصعيد حرب الاستنزاف، وقد شدت هذه المرحلة انتباه المعسكرين الشرقى والغربى فى آن واحد، حيث تشترك المقاتلات الأمريكية الحديثة من طراز فانتوم التى حصلت عليها إسرائيل ودخلت للخدمة فعلا اعتبارًا من شهر سبتمبر ١٩٦٩م. وكذلك لوجود تشابه بين نظام الدفاع الجوى المصرى الجارى إنشاؤه فى هذه المرحلة، ونظام الدفاع الجوى لحلف وارسو. وقد استمر القصف الجوى العنيف من الطائرات الحربية الإسرائيلية طوال الأربعة أشهر الأولى من عام ١٩٧٠م. حيث صرحت جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل لصحيفة الفاينانشيال تايمز يوم ٦ يوليو ١٩٧٠م بأن طائراتها كانت تسقط ألف قنبلة على المصريين يوميا.

ومن أهم العمليات التى قام بها الإسرائيليون خلال شهر يناير ١٩٧٠م كان الهجوم الفاشل على جزيرة شدوان كرد على مهاجمة القوات المصرية لميناء إيلات الإسرائيلى فى شهر نوفمبر ١٩٦٩م.

تساقط الفانتوم:

وقد استمرت الأعمال القتالية المتبادلة حتى حدث تغير هائل ظهر الثلاثين من يونيو ١٩٧٠م ليحسم الصراع الدائر بين بناة مواقع الصواريخ المصرية وبين ذراع إسرائيل الطويلة، حيث احتلت بعض كتائب الصواريخ مواقعها من خلال تنظيم صندوقى لعناصر الدفاع الجوى، ابتكرته العقول المصرية فى قيادة الدفاع الجوى المصرى، وبدأ عقب ذلك تساقط الطائرات الإسرائيلية فيما عرف بأسبوع تساقط الفانتوم، ليصاب الطيران الإسرائيلى بأول نكسة فى تاريخه أثرت فى أسس

نظرية الأمن الإسـرائيلى بالكامل، وكان هذا اليوم بمثابة إعلان لخسارة إسـرائيل لجهودها فى معارك حرب الاسـتنزاف، التى ركزت خلالها على عدم إنشاء أى مواقع.

ومع استمرار الخسائر الإسرائيلية، وتزايد الوجود السوفييتى تقدمت الولايـات المتحدة بمبادرة روجرز. التـى تقدم بها فعلا وزير الخارجية الأمريكى.

وكانـت المبادرة بهـذه الصيغة المتوازنة تنبع مـن روح قرار مجلس الأمن رقم (٢٤٢)، ووجد الرئيس جمال عبدالناصر أن قبولها أمر ممكن؛ لإعطاء فرصة للقوات المسلحة لاستعادة كفاءتها القتالية بعد حرب متصلة اسـتمرت قرابة الألف يوم، ووجدت فيها إسـرائيل فرصة للخروج من أزمتها وإيقاف نزيف الخسائر الذى تتعرض له.

● **مبادرة روجرز:**

كان الغرض الأساسـى من الموافقة على مبـادرة روجرز كما قلنا هى بمثابـة هدنة لوقف إطلاق النار حتى تسـتطيع مصر من تدعيم مواقعها ودفاعاتهـا وإقامة التحصينات لقواتها، وتجهيز وسـائل الدفاع الجوى وشبكة الصواريخ الدفاعية، مما جعلها تقيم أضخم حائط صواريخ دفاعية بوسائل الدفاع الجوى على مستوى العالم.

وفى نفس الوقت كان لوجود القوات الإسرائيلية فى سيناء أن قامت هـى الأخرى بتكثيف دفاعاتهـا وتجهيزها بخط دفاعى وحتى لا يمكن للقوات المسلحة المصرية من عبور قناة السويس أو الاقتراب منها أو القيام بأى عمليات تعرضية ضد قواتها، وكما أنشـئ أقوى خط دفاعى شـرق القناة، وهو ما أطلق عليه خط بارليف.

خط بارليف

أنشئ هذا الخط والمسمى بخط بارليف نسبة إلى الجنرال حاييم بارليف رئيس أركان الجيش الإسرائيلى فى هذا الوقت. وكان هو ومجموعة رئاسته هما من وضعا وصمما ونفذا هذا الخط الدفاعى الذى يعتبر أقوى خط دفاعى أنشئ على مستوى العالم. بل فى تاريخ الحروب أجمع، ويتميز هذا الخط أيضًا بما يعرف بالساتر الترابى، ولكن فى الواقع لم يكن ساترًا ترابيًا فقط.

- **مم يتكون خط بارليف:**

قامت إسرائيل باستغلال ناتج الحفر والتطهير المتراكم على الضفة الشرقية للقناة مكونة ساترًا ترابيًا واستمرت فى تعليته حتى وصل إلى حوالى ٢٠ مترا، وإزاحته غربًا حتى وصل إلى الحافة الشرقية للقناة وبزاوية ميل حادة حوالى ٤٥ درجة، وأنشأت بالساتر مصاطب للدبابات على أبعاد تصل من ١٠٠ إلى ٤٠٠ متر فيما بينها بحيث يمكن للدبابات الصعود إليها من طريق خلف الساتر ومن خلال مطالع ومنازل مستورة حتى تصل إلى ارتفاع يظهر منه البرج والمدفع فقط وبذلك تكون أجنابها غير معرضة.

وأقامت القوات الإسرائيلية عدة نقاط حصينة فى باطن الساتر الترابى تركزت أساسا على محاور الاقتراب الرئيسى لقواتنا عبر القناة، وقد بلغ إجمالى المواقع الحصينة ٢٢ موقعا وتضمنت ٣٥ نقطة دفاعية حصينة بلغت مساحة كل منها حوالى ٤٠٠٠ متر مربعا.

● **مكونات النقط الحصينة:**

تتكـون كل نقطة حصينة من عـدة طوابق ويتكون كل طابق من عدة دشـم من الأسمنت المسـلح المقوى بقضبان السـكك الحديد المنزوعة من خط السـكة الحديد الذى كان ممتدًا من القنطرة شرق وحتى رفح، وكذا ألواح الصلب ويفصل بين كل طابق والآخر طبقة من القضبان والخرسانة المسـلحة يعلوها شباك من الصلب، بداخلها كميات من الزلط والأحجار والدبش، ويبلغ سمك الطبقة متراين، كما تعلوها لفات كثيفة من سـلك الكونسرتينا.

وتتكون كل نقطـة حصينة من ٣-٦ ملاجئ للأفراد ومخازن ذخيرة ومرابض هاونات وصواريخ أرض أرض وخنادق مواصلات مكسـاة بألواح الصلب وشـكاير وصناديق الذخيرة المملوءة بالرمـل، وكان الملجأ عبارة عن ملجأ سـريع لـه أكثر من مدخل يتفرع منه أكثـر من خندق مغطى وكلها مكسـاة بالصاج المعرج المقوى بالزوايا الحديدية، ويتوفر فيها كل وسـائل الراحة والتهوية والإضـاءات والتدفئة والاتصال التليفونى، وقد وفرت هذه التحصينات والأعمال الهندسـية المختلفة وقاية للنقط القوية ضـد القنابل الثقيلة حتى ١٠٠٠ رطل، وكذا ضد جميع قنابل الطائرات والمدفعية الثقيلة.

وأحيطت كل نقطة حصينة من جميع الجهات بسـوريين من السلك الشائك وبينهما حقل ألغام مضاد للدبابات والأفراد وفى مواجهة النقطة يوجـد مانع سـلك كثيف غير منظـم بحيث يصعب فتح ثغـرة فيه أو اجتيازه أو مهاجمته.

وجهـزت النقط الحصينة بخزانات وقود وسـوائل (خزانات نابالم) تخرج منها مواسـير إلى القناة يمكن إشـعالها فى حالـة اقتحام قواتنا للقنـاة، والمعـروف أن النابالم يشـتعل فى الماء ويطفو فـوق الماء ويظل مشتعلا لقلة كثافته مما يحيل سطح المياه فى قناة السويس إلى شعلة من النيران، كل ما سبق يدخل فى الخط الدفاعى المسمى خط بارليف.

بل أنشـأت القوات الإسرائيلية بين هذا الخط الأول على القناة وخط المضايـق الجبلية، خطين دفاعيين هما الخـط الدفاعى الثانى والثالث، ويبعد الخط الثانى حوالى من ٣٠٠ إلى ٥٠٠ متر عن الخط الأول.

وهو مجهز أساسـا لاحتلاله بالعناصـر المدرعة المتمركز فى الخلف.

أمـا الخط الثالث فيمتد على مسـافة من ٣-٥ كـم من الخط الأول على بعـض الاتجاهات والمحـاور المهمة، وعلـى أجناب الطرق الرئيسـية المؤديـة إلى العمـق، وتم تجهيـز مناطق تجمع الوحـدات المدرعة على أعماق مختلفة وكذلك الأسـلحة المضادة للطائرات والمدفعيات والصواريخ المضـادة للدبابات، وكذا مرابض نيران المدفعية بعيدة المدى، والتى بلغ عددها ٢٤٠ موقعا مجهزا، وأنشـأت القوات الإسـرائيلية شبكة ضخمة من الطرق والمدقات الطولية والعرضية شرق القناة لتسهيل حركة القوات فى أى اتجاه والمناورة بها حسب تطور القتال.

وأعلنت أسرائيل للعالم كله، أن هذه التحصينات هى أكبر تحصينات دفاعية على مستوى جميع الحروب، ولم ولن تحدث فى التاريخ ما قبل وما بعد الحرب العالمية الأولى والثانية وعلى أكبر مانع مائى فى العالم، ولن تستطيع أى قوة مسلحة أن تجتازه أو تخترقه وإلا تعرضت جيوشها للإبادة والتدمير.

وفاة جمال عبد الناصر

فى هذه الفترة العصيبة قامت إسـرائيل بعدة عمليات وهجمات فى العمق بواسـطة قواتها الجوية كمحاولة ضـرب القناطر الخيرية وقناطر نجع حمادى، وتدمير مدرسـة بحر البقر وسـقوط عدد كبير من الأطفال الصغار جثث وأشلاء، وقد كان لذلك تأثير كبير على عبدالناصر.

و كانت القشة التى قسمت ظهر البعير هى الإغارة بطائرات الهليكوبتر ببعض الوحدات الخاصة من جيش الدفاع الإسرائيلى على رادار بمنطقة البحر الأحمر ومهاجمته بل وفكه وسـرقته مستغلة سلسلة جبال البحر الأحمر فى إخفاء تحركاتها. الأمر الذى أصاب جمال عبد الناصر بأزمة قلبية حادة كادت تودى بحياته وروحه.

كما سـاعدت على عدم اسـتقرار صحته العامة، مما زاد من ارتفاع نسبة السـكر فى الدم، وزيادة النقرس والروماتويد، مما جعل أرجله لا تقـوى على حمله، ولكنه كان يقاوم برغم ما يتحمله من ألم ليظل دائمًا شامخًا عظيمًا قويًا فى نظر شعبه وجيشه وأمته.

وقد تلى هذه الفترة حدوث مناوشات بين منظمة التحرير الفلسطينية وجيش التحرير الفلسـطينى من جهـة، وعناصر الجيش الأردنى التابع للملك حسـين ملك الأردن من جهة أخرى أدت إلى حرب بين الطرفين سـقط فيها مئات بل آلاف من الجانبين، ولم يسـتطع أحد إيقاف هذا القتال الذى لم يتوقف إلى أن قام جمال عبدالناصر بدعوة الملوك والرؤساء

العرب فى مؤتمر قمة عربى استثنائى بالقاهرة، وأرسل لاستدعاء الملك حسين وياسر عرفات وقد نجح جمال عبدالناصر فى تحقيق وتنفيذ اتفاق بين الجانبين لوقف نزيف الدم العربى إزاء هذه الأحداث.

وقام بتوديع جميع الملوك والرؤساء العرب بمطار القاهرة حتى آخر الملوك وهو وداع الأمير الصباح أمير دولة الكويت، وبعد أن ركب الأمير طائرته شعر عبدالناصر بإجهاد شديد مما جعله يطلب عربته تحضر له أمام مهبط الطائرة ليعود إلى منزله بمنشية البكرى، وذهب جمال عبدالناصر إلى منزله ليرتاح ولكنها كانت الراحة الأبدية والأخيرة.

فقد مات جمال عبد الناصر وصعدت روحه الطاهرة إلى بارئها مساء يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠م وخرج شعب مصر كله يبكى فقدان القائد والزعيم، بل فجع العالم كله بموت عبدالناصر، الذى كما قال أنور السادات وهو ينعيه للأمة أنه كان من أخلص الرجال، بل من أشجع الرجال. لقد فقدت مصر والعالم العربى بل العالم كله جمال عبدالناصر

.□□□

تولى الرئيس أنور السادات حكم مصر

تولى أنور السادات حكم مصر عام ١٩٧٠م بعد وفاة جمال عبدالناصر، ولمدة ثلاث سنوات منذ توليه الحكم كان أنور السادات يتخذ كل عام وعدًا للحرب عامًا بعد عام وما سماه بعام الحسم. ثم ما أسماه بعام الحرب وتقرير المصير والذى لم يتم فيه تقرير أى شيء، وما أسماه بعام استرداد الأرض والأخذ بالثأر ولم يتحقق أى شيء خلال هذه السنوات الثلاث، الأمر الذى أدى إلى قيام كثير من المظاهرات والاعتصامات فى مختلف الجامعات وبعض قطاعات الدولة، وتعرض الرئيس أنور السادات للكثير من النقد، بل كثرت النكات بالسخرية من هذه الوعود المزعومة.

ولكن فى الحقيقة لم يكن الشعب يعرف أنور السادات على حقيقته، وظنوا أنه كاذب ويضحك على شعبه، رغم أن ما كان يعلنه هو فى الواقع جزء مما كان يتمتع به من دهاء سياسى وخبرة سياسية، ولحين اتخاذ القرار الصحيح فى الوقت المناسب، وتحمل أنور السادات الكثير خلال هذه الفترة بصبر عظيم، واعتبرها امتداد لفترة كفاحه السابقة ونوجزها بالآتى:

كان أنور السادات خلال فترة كفاحه فى شبابه وهو ضابط صغير، وخلال الحرب العالمية الثانية، يتعامل سرًا مع الألمان على حساب الجيش البريطانى الذى كان يكرهه خلال احتلاله لمصر، مؤمنا بالمثل الذى يقول: عدو عدوك هو صديقك.

كـذا كان لأنور السـادات أيضا دور كبير فى مقاومة رجال السـرايا والملك من الفاسـدين. وكذا اتهامه بالاشـتراك فـى اغتيال أمين عثمان رجل السرايا المقرب للملك والإنجليز، ومحاكمته وفصله من الجيش.

كمـا أنه كافح كفاحًا مريرًا بعد فصله من الجيش واشـتغاله بأعمال متدنيـة من أجـل لقمة العيش. ثم عودته مـرة أخرى لصفوف الجيش والاتصال برفقاء السـلاح من الضباط الأحرار. فقد كان أنور السادات له قصة كفاح اكتسب منها خبرة فى التعامل بدهاء سياسى لتحقيق أهدافه.

ومن هنا نوضح أن كاريزما أنور السـادات وشـخصيته تختلف تمامًا عـن كاريزما جمـال عبدالناصر، وقد كان ذلك سـببًا مباشـرًا فى عدم قبول كثير من أبناء الشـعب فى البداية لشخصية أنور السادات. والتى اتضح فيما بعد أنه كان له رؤية مسـتقبلية - وبُعد نظر كبير- وتحليل صائب للأمور، واتخاذ القرار المناسـب فى الوقت المناسـب، مما جنب مصر وشعبها الكثير من المصائب، فقد كان حاد الذكاء، ويتمتع بالدهاء السياسى. والذى كانت مصر تحتاجه فى هذه المرحلة.

علـى أى حال فقد تم الاتفاق، وما اسـتقر عليه كل المسـئولين فى الدولة، وجميع مؤسسـات الدولة على ترشـيح أنور السـادات. والذى كان يشـغل منصـب نائب رئيس الجمهورية. للاسـتفتاء عليه رئيسـا للجمهوريـة خلفا للرئيـس الراحل جمال عبدالناصـر، وكان من هؤلاء القائد العام للقوات المسلحة، ووزير الداخلية، ورئيس المخابرات العامة، والمخابرات الحربية، ورئيس مجلس الشعب، ومؤسسات الإعلام. وعلى رأسـهم الأمين العام وسكرتير الاتحاد الاشتراكى العربى. ورجل روسيا القوى فى المنطقة على صبرى.

وقد عقدوا العزم على اختيار أنور السادات وتقديمه للاستفتاء عليه من الشعب المصرى خلفا لرئيس الجمهورية الراحل جمال عبدالناصر، وهم لا يعرفون حقيقته، ولقد كان فى حقبة هؤلاء اتفاق خفى فيما بينهم بأن أنور السادات سيحكم من خلالهم، وبأنهم سيكون لهم الكلمة الأولى والأخيرة فى القرارات المصيرية التى سوف تتخذ، واعتبروا أنور السادات رئيسًا هامشيًا شكليًا. وعليه أن يسير فى خطوات حكمه على نفس درب وطريق عبد الناصر، بل وكما يريدون هم.

ولكن كان أنور السادات مختلفا فى شخصيته وأفكاره ورؤياه عن عبد الناصر اختلافًا جوهريًا، وكان يمتاز بالدهاء السياسى الكبير كما قلنا؛ ولذلك فقد تماشى أنور السادات مع أفكار ورؤى هؤلاء الذين ظنوا أنهم ورثوا مصر ومن عليها مناورًا لهم.

ولكنهم كانوا قد قيدوا بالفعل أنور السادات فيما كان يتخذه من قرارات مشكلين أمامه مراكز قوة لا يستطيع الوقوف وحده أمامهم بشخصه وبمفرده متحملاً مسئوليته الشرعية والدستورية فى حكم مصر كما أقره له الدستور.

وكان أنور السادات له رؤية استراتيجية مختلفة عن عبدالناصر، حيث كان لا يريد معاداة الغرب والولايات المتحدة الأمريكية، وكان يحاول التقرب إليهم وفى نفس الوقت يحافظ على علاقته بالاتحاد السوفييتى؛ ليشكل علاقة متوازنة مع القوتين العظميين واستقطابهما من أجل تحقيق أهدافه بخروج مصر من نكستها، والعمل على استرداد الأرض بشتى الطرق والوسائل، ولكنه ظل يعانى من مراكز القوة تلك،

ولدرجة أنهم بدأوا يتجسسون عليه، ويتنصتون عليه بجميع وسائل التنصت، وتسجيل مكالماته ومحادثاته سواء التليفونية أو غيرها.

وعندما تأكد أنور السادات من ذلك وحصوله على الشرائط المسجل عليها بوسائل التنصت، فما كان عليه إلا أن قام بإقالة وزير الداخلية والإعلام، وقد رفض باقى جميع أفراد تلك العصابة والممثلين فى مراكز القوة هذا القرار، فأعلنوا جميعا استقالاتهم فى وقت واحد من مناصبهم، وأذاعوا ذلك فى جميع وسائل الإعلام لإحداث فراغ دستورى لإسقاط مؤسسة الرئاسة ورئيس الجمهورية.

ولم يستسلم أنور السادات فقد استدعى الفريق الليثى ناصف قائد الحرس الجمهورى، وكلفه بالقبض على كل مراكز القوة ووضعهم فى السجن الحربى، وتقديمهم إلى المحاكمات الفورية بتهمة الخيانة العظمى والتخطيط للانقلاب ضد الحكم الشرعى والدستورى للبلاد، والاستحواذ على سلطات رئيس الجمهورية التى كفلها له الدستور والقانون، وكذلك انتهاك حرمة الأفراد بالتجسس والتنصت بدون إذن قضائى، مخالفين بذلك كل حقوق الإنسان التى كفلها له الدستور والقانون، فما بالك أن يتم ذلك مع رئيس الدولة، وقد نجح الليثى ناصف بواسطة ضباط الحرس الجمهورى فى القبض على هؤلاء جميعًا فى وقت واحد، وتنفيذ ما أمره به أنور السادات لتنفيذ محاكمتهم.

وقد أعلن أنور السادات للشعب المصرى عن ثورة التصحيح تلك من أجل استقرار الوطن، وقد أيده الشعب بأكمله تأييدًا كاملا، وبذلك تخلص أنور السادات من هؤلاء جميعا فى ضربة واحدة، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على ما كان يتمتع به أنور السادات من سمات شخصية ودهاء سياسى.

استراتيجية أنور السادات لحكم مصر

بنى الرئيس أنور السادات رؤيته الاستراتيجية فى حكم مصر ومن أجل استرداد الأرض على الأهداف الرئيسية الآتية:

الهدف الأول:

هو البدء بالتحول التدريجى من الحكم الشمولى إلى الديموقراطى بالتعددية الحزبية، وذلك بإنشاء ثلاثة منابر حزبية رئيسية للوسط واليمين واليسار. وإلغاء نظام حكم الحزب الواحد وهو الاتحاد الاشتراكى العربى. ثم الانفتاح الاقتصادى على العالم الخارجى شرقه وغربه للعمل على إنعاش ورفاهية الشعب المصرىْ الذى عانى كثيرًا، مع الحفاظ على علاقة متوازنة مع العالم الخارجى، خاصة القوتين العظميين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتى.

الهدف الثانى:

الإعلان أمام العالم بأن مصر تسعى جديًا للسلام الحقيقى القائم على العدل، وقد أعلن أنور السادات استعداد مصر والعرب لعقد اتفاقية سلام مع إسرائيل. تبدأ فيها إسرائيل بإظهار حسن نواياها بالبدء فى الانسحاب من الضفة الشرقية للقناة حتى خط المضايق. على أن تقوم مصر بتطهير مجرى قناة السويس وفتحه للملاحة البحرية أمام جميع السفن فى العالم.

وعلى أساس ذلك تبدأ إسرائيل فى الانسحاب من جميع الأراضى العربية المحتلة، وإقامة الدولة الفلسطينية وإنهاء حالة الحرب باتفاقية سلام شاملة مع جميع دول المواجهة، وبذلك يستطيع أنور السادات أن يحقق سلاما شاملا عادلا مقابل استرداد الأرض سلميًا، وقد تم عقد مؤتمر قمة عربى بهذا الخصوص، ووافقت على هذا المبدأ الدول العربية بالإجماع.

وبذلك أيضا فإن أنور السادات يستطيع أن يجنب المنطقة العربية ويلات حرب جديدة لا يعرف مداها إلا الله. وقد تأخذ معها الأخضر واليابس؛ وبالقطع يستطيع الشعب الفلسطينى تقرير مصيره. وفى مصر أيضا سيعود المهجرون من مدن القناة إلى مدنهم وقراهم وإلى أعمالهم للعمل والإنتاج مع تعمير تلك المدن التى أضيرت كثيرًا جراء حرب يونيو ١٩٦٧م، والبدء فى خطة تنمية من أجل مصر، وقد أعلن أنور السادات صراحة أمام العالم استرداد الأرض مقابل السلام.

وقد بذل الرئيس محمد أنور السادات خلال فترة حكمه تلك مجهودًا جبارًا أمام المحافل الدولية، والمؤتمرات الدولية، والجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن، شارحا استراتيجيته من أجل السلام فى المنطقة على أساس القرار (٢٤٢) والقرار (٣٣٨) الصادر من مجلس الأمن، ولكسب مزيد من التأييد العالمى والدولى.

ولكن إسرائيل ناورت كعادتها وبصلفها وغرورها وزهوة النصر التى كانت تعيش فيها، فلم توافق على هذه المطالب؛ لأنها كانت تريد الأرض والسلام معًا، بحجة أن الأرض هى السبيل الوحيد من وجهة

نظرهم لتأمين دولة إسـرائيل. وأن هـذه الأرض التى تم احتلالها تمثل الحدود الدنيا لدولة إسرائيل الكبرى المزعومة.

الهدف الثالث:

كان الهدف الثالث والذى لم يكن له بديل آخر هو اسـتمرار العمل فى تقوية وتسـليح الجيش المصرى بكافة أنواع الأسلحة والمعدات. وكذا تدريب القوات المسـلحة تدريبًا عاليًا وشاقا. ومحاولة الوصول بالقوات المسلحة إلى أعلى درجات الاستعداد وكذا الوصول إلى مرحلة شبه متوازية مع الجيش الإسـرائيلى مع وضع الخطط للعمليات الهجومية لعبور قناة السـويس عنوة. واجتيـاح وتدمير خط بارليف المنيع. وتدمير وسـحق القوات الإسـرائيلية شـرق القناة. وتأمين الضفة الشـرقية للقناة لإعادة فتح قناة السويس للملاحة البحرية أمام العالم كله كخطوة أولى. يعقبها تحريـر كامل لكل تراب هذا الوطن. مهما كانـت التضحيات والآلام. وقد وضعت القيادة العامة للقوات المسلحة وهيئة عملياتها بالفعل خططا هجومية كاملة لتحرير سيناء.

❑❑❑

المفاوضات مع الاتحاد السوفييتى بشأن التسليح

برغم استيعاب العالم كله مبادرة السلام التى عرضها الرئيس أنور السادات، إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تستطع أن تؤثر على إسرائيل بموافقتها على هذه المبادرة، بل أعلنت أنها مسئولة مسئولية كاملة عن أمن إسرائيل وسلامتها. وأخذت تمدها بكل وكافة الأسلحة الهجومية المتطورة تكنولوجيًا. وذات القدرة والكفاءة العالية والتى تفوق عن مثيلاتها فى قواتنا المسلحة فى مختلف الأفرع، سواء كانت الجوية أو البحرية أو البرية أو وسائل الدفاع الجوى. والتى لا وجه للمقارنة بينها وبين مثيلاتها من الأسلحة والمعدات التى كان يمدنا بها الاتحاد السوفييتى، حيث كان ما لدى إسرائيل من أسلحة يفوق ما لدى مصر بكثير من حيث العدد، والنوع، والكفاءة، والقدرة، والتطور التكنولوجى.

ويبدو أنه كان هناك اتفاق ضمنى عالى وسرى غير معلن بين الدولتين العظميين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتى حتى لا تلتهب منطقة الشرق الأوسط بما يؤثر على مناطق نفوذ كلا الدولتين.

فكان الاتحاد السوفييتى يقوم بإمداد مصر بالأسلحة الدفاعية فقط، وبعض الأسلحة الهجومية والتى لا تقوى على المواجهة مع الأسلحة التى تمد بها الولايات المتحدة الأمريكية إسرائيل. رغم موافقة الاتحاد السوفييتى على إرسال خبراء من الجيش السوفييتى للمشاركة فى تدريب القوات المصرية على مختلف هذه الأسلحة.

ولكن إحقاقا للحق، قد قام الاتحاد السوفييتى بمد مصر بأعداد هائلة من صواريخ الدفاع الجوى الموجهة من طراز سام ٦، سام ٧، سام ٣، وسام٢، والتى لها قدرات هائلة على إسقاط الطائرات المعادية بنسبة تفوق ٩٠٪، وكذا بالرادارات ووسائل الدفاع الجوى الأرضية الحديثة، وساعد الخبراء الروس الجيش المصرى فى بناء أكبر حائط صواريخ لحماية مصر وحدودها بالكامل، وكان يشكل أكبر حائط حماية بصواريخ الدفاع الجوى على مستوى العالم كله بل وفى تاريخ الحروب.

وقد استمرت المفاوضات مع الاتحاد السوفييتى، وبذل الرئيس محمد أنور السادات الكثير من الجهد فى محاولة جلب أسلحة هجومية لتستطيع مصر تحقيق مهامها بالعمليات الهجومية المخططة لتحرير أرضها، ولكن لم يجد أنور السادات استجابة لطلباته، وأرهقه الاتحاد السوفييتى بالمماطلة برغم وعوده والتى لم ينفذ منها شىء.

والذى كان مفاجأة كبيرة، وكان بمثابة صدمة كبيرة هو اتفاق الدولتين العظميين طبقا لسياسة الوفاق التى قاموا بالاتفاق عليها هو إعلانهم على استمرار وقف إطلاق النار، وجعل منطقة الشرق الأوسط ومصر فى حالة استرخاء عسكرى منتهجين سياسة الوفاق بينهما، الأمر الذى أطار صواب وعقل الرئيس أنور السادات، فما كان لا بد منه إلا أن اتخذ قرارا بطرد الخبراء الروس وإصدار قرار الحرب.

لم يكن أمام الرئيس أنور السادات رحمه الله خيارًا آخر إلا أن يتخذ قرار الحرب، والذى كان قد اتخذه بالفعل، وتنفيذ خطط العمليات الموضوعة والتى تم التدريب عليها بكفاءة عالية بما لدينا من الإمكانيات المتاحة،

دون النظر لأى اعتبارات أخرى، السابق ذكرها، معتمدين على الله ثم على كفاءة جنودنا المقاتلين البواسل، والذين هم من خير أجناد الأرض.

وقد كان من أهم هذه الخطط الخداع الاستراتيجى والعسكرى، والتى كانت العنصر الفعال لنجاح هذه الحرب، والتى أصبحت تدرس على مستوى جميع الأكاديميات العسكرية فى العالم، والتى سننوه عنها.

□□□